

العرام .. والفظام

محمد حسن فقي

لَسْتُ أَرْضَى لَهُ الْقِيُودَ فَأَيُّ .. عِشْتُ حُرّاً أَمِيمٌ فِي كُلِّ دَرْبٍ!؟

وَمَضَى يُفَكِّرُ فِي الْغَزَالَةِ .. كَيْفَ يَذْبَحُ طَهْرَهَا!!
 فَرَمَى حَبَائِلَهُ .. لِيَتَفَتَحَ لِلنَّوَائِلِ صَدْرَهَا!
 فَهِيَ الْفَقِيرَةُ لِلنَّوَالِ .. وَلَنْ تُجَاوِزَ قَدْرَهَا!
 هِيَ خَادِمٌ فِي قَصْرِهِ .. وَلَسَوْفَ يَهْتِكُ خَدْرَهَا!
 وَلَسَوْفَ أَوْهِنُ بِالْحَطَامِ .. وَبِالْمَكَانَةِ صَبْرَهَا!
 مَاذَا عَسَاهَا أَنْ تَكُونَ؟! أَلَسْتُ أَمْلِكُ أَمْرَهَا؟!
 مَا نِي الْفَرَاتِ .. وَمَا أُحْيَلَاهُ .. سَيَطْفِيءُ جَمْرَهَا!
 وَأَرَادَ تَجْرِبَةً .. فَحَاوَلَ أَنْ يُقْبَلَ نَعْرَهَا!
 فَاسْتَرَدَلَتْهُ وَعَتَفَتْهُ .. فَحَرَّ يَلْمُ طَفْرَهَا!
 رَاعَتْهُ آيَاتُ الطَّهَارَةِ .. وَهِيَ تَنْفُثُ سِحْرَهَا!
 وَمَضَتْ تَلْمُ مَنَاعَهَا .. شَمَمًا .. وَتَرَفُّضُ أَسْرَهَا!
 أَبَتِ الرِّيحَ مِنَ السَّقُوطِ .. فَمَا أُحْيَلِي خُسْرَهَا!

وَمَضَى الْأَيْمُ الْمُعْرَبُ خَزْيَانِ .. بِمَجْدٍ مُهْلَهْلِ .. وَحَطَامِ!
 لَمْ يَنْلِ مِنْهُمَا سِوَى أَلَمِ اللُّوعَةِ .. مِنْ شَهْوَةِ بَدُونِ لِحَامِ!
 وَاسْتَوَى فِي فِرَاشِهِ خَائِرَ الْعِزْمِ .. صَرِيحَ الْهَوَانِ وَالْأَسْقَامِ!
 قَالَ لِلزَّوْجَةِ الْوَفِيَّةِ .. مَا أُنْكَدَ عَيْشِي .. وَمَا أَدَلَّ هَيَامِي ..!
 عَلَّمْتَنِي هَذِي الْغَرِيرَةَ مَا لَمْ .. أَعْلَمَنَّ مِنْ حَيَاةِ الْأَتَامِ ..!
 فَطَمَنْتِي عَنِ الْغَرَائِزِ عُمِيًا .. وَأَرْتَنِي الدَّرْبَ السَّوِيَّ أَمَامِي!
 كُنْتُ كَالطُّفْلِ لَا يَطِيقُ فِطَامًا .. وَأَنَا الْيَوْمَ اسْتَطِيبُ فِطَامِي!
 أَفَأَلْفِي مِنْكَ السَّمَّاحَ .. وَقَدْ كُنْتُ عَتِيًّا عَلَيْكَ .. جَمَّ الْخِصَامِ!
 فَاسْتَكَانَتْ لَهُ .. وَقَالَتْ: لَقَدْ عُدْتُ .. فَحَسْبِي هَذَا مِنَ الْأَيَّامِ!
 جدة

جَبَلٌ شَامِخٌ مِنَ الطَّهْرِ أَعْيَاهُ .. وَأَعْيَا مِنْ حُسْنِهِ وَشَبَابِهِ!
 ظَنَّ أَنَّ الْحَطَامَ وَالْمَجْدَ وَالشُّهْرَةَ .. تُدْنِي إِلَيْهِ كُلَّ طِلَابِهِ!
 فَتَصَدَّى الْعَرَبِيدُ لِلْجَبَلِ الشَّامِخِ بَدْرًا بِرَعْمٍ رَثٌ ثِيَابِهِ!
 كَانَ يَسْتَقْطِرُ الْحَيَاةَ دَوَائِقَ لِيَحْيَا مِنْ كَدِّهِ وَاِكْتِسَابِهِ!
 وَرَأَهُ الْغَرِيبُ لَا يَعْرِفُ الْأَيْنَ .. وَلَا يَشْتَكِي مَرِيرَ شَرَابِهِ!
 كُلُّ يَوْمٍ يَرَاهُ كَالْعَصْنِ فِي الدَّارِ .. حَفِيًّا بِأَهْلِهِ وَصِحَابِهِ!
 وَبِهِ .. غَيْرَ أَنَّهُ رَافِعُ الرَّأْسِ .. عِيُوفًا عَنِ الْخَتَى وَتِيَابِهِ!
 كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ ثِمَارِ شَهِيَّاتٍ .. جَفَّاهَا .. وَلَمْ تَكُنْ فِي حِسَابِهِ!
 وَيَرَاهَا سِوَاهُ تَخْتَلِبُ اللَّبَّ .. وَتَشْفِي الشَّجِيَّ مِنْ أَوْصَابِهِ!
 وَهُوَ مِنْ أَجْلِ لِقْمَةِ الْعَيْشِ يَمْشِي دَائِبَ الْخَطْوِ بِالْوَتَى غَيْرَ آبِهِ!
 لَفَّ هَذِي الثَّمَارَ عَنِ أَعْيُنِ النَّاسِ .. ضَمِينًا بِهَا وَرَاءَ إِهَابِهِ!
 قَانِعًا بِالْقَلِيلِ لِلنَّفْسِ وَالْأَهْلِ .. فَحَسْبُ الطُّهُورِ نَزْرُ ثَوَابِهِ!

وَبَدَّتْ لَهُ بَرْقَةٌ ظَمِي .. مُجْطِلٍ ذَاهِلٍ لِنَظَرَةِ ذَنْبِ!
 حَسْبَيْتَهُ مِنْ قَبْلِ يَطْوِي حَنَائِيَهُ .. عَلَى مَنْهَلٍ يَفِيضُ بَعْدَ ذَنْبِ!
 فَإِذَا بِالذِّي تَجَنُّ طَوَائِيَهُ .. ضَمِيرٌ يَهْفُو إِلَى كُلِّ ذَنْبِ!
 فَاسْتَدَارَتْ تَفِيرُ مِنْهُ .. فَمَا كَانَتْ لِتَرْضَى - وَلَوْ تَرَدَّتْ - بَعِيْبِ!
 أَيُّ حَظِّبٍ أَصَابَهَا بِنَوَازِيهِ .. فَاصْمِي بِسَهْوِهِ .. أَيُّ حَظِّبِ؟!
 أَذْبَرْتُ عَنْهُ وَهِيَ تَرْجَفُ خَوْفًا .. مِنْ بِلَاءٍ يَرِفُ مِنْ كُلِّ هُدْبِ!
 حَاصِرَتْهَا فَأَجْهَشَتْ وَتَوَارَتْ خَلْفَ بَابٍ وَاسْتَعَصَمَتْ بِالنَّائِيِ!
 وَرَأَتْ زَوْجَةَ الْمُعْرَبِ مَا كَانَ .. فَرِيَعَتْ بِصَبْوَةٍ .. وَبِصَبِّ!
 حَاوَلَتْ أَنْ تَدُوْدَهُ وَهِيَ تَبْكِي .. مِنْ خَوْوَنِ يَسْطُو عَلَى كُلِّ تَرِبِ!
 فَاسْتَهَانَ الْعَوِيُّ بِاللُّؤْمِ وَاسْتَعْلَى وَمَا قَالَ لِلضَّلَالَةِ .. حَسْبِي!
 قَالَ لِلزَّوْجَةِ الْمَهِينَةِ .. مَنْ أَنْتِ .. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكِيدِي لِقَلْبِي!؟